الإستراتيجية الأمنية الأمريكية بعد الحرب الباردة:

من التفرد إلى الهيمنة 1990-2012.

أ: نور الدين حشود
قسم العلوم السياسية
بجامعة قاصدي مرباح ورقلة (الجزائر)

الملخص:

سنحاول في هذه الورقة الوقوف على أهم التغيرات التي طرأت على الإستراتيجية الأمنية للولايات المتحدة، بعد نهاية الحرب الباردة وانهيار المنظومة الشيوعية، وكذا بعد أحداث 11 سبتمبر وهذه التحولات التي شهدها النظام الدولي بانهيار الثنائية القطبية على الصعيد الهيكلي والقيمي، جعلت بعض المفكرين يتحدثون عن القطيعة مع الأطر النظريـــة والمفاهيم القديمة، وسنحاول الوقوف عند أهم المحطات في تطور الاستراتيجية الأمنية الأمريكية، والتي تقوم أساسا على تحقيق المصلحة القومية بمعناها الفضفاض، مع بعض الإختلافات الطفيفة بين الرؤساء وانتماءاتهم الحزبية.

Abstract:

We will discuss in this paper the changes in the security strategy of the United States, after the end of the Cold War and the collapse of the system of communism, as well as after the events of September 11, and these transformations by the international system with collapse of bipolarity at the structural and moral level, made some thinkers talking about a rupture with theoretical frameworks and old concepts, and we will try to focus in the most important events in the evolution of U.S. security strategy, which is based mainly on the achievement of the national interest in the broad sense, with some differences between the presidents and their party policy.

الإستراتيجية الأمنية الأمريكية بعد الحرب الباردة: من التفرد إلى الهيمنة 1990-2012.

سنحاول في هذه الورقة الوقوف على تأثير نهاية الحرب الباردة وانهيار المنظومة الشيوعية وأحداث 11 سبتمبر على الإستراتيجية الأمنية للولايات المتحدة ، وهذه التحولات التي شهدها النظام الدولي بانهيار الثنائية القطبية على الصعيد الهيكلي والقيمي، جعلت بعض المفكرين يتحدثون عن القطيعة مع الأطر النظرية والمفاهيم القديمة، وفي هذا الإطار نسمع عن نهاية التاريخ ونهاية الجغرافيا، وحتى موت الدولة الأمة، ويمكن قراءة ثلاث تحولات رئيسية بعد الحرب الباردة هي[1]:

أولا على المستوى الإستراتيجي: ظهور عالم بدون معالم ثابتة، حيث أعيد طرح مسألة الحدود التي هي في الغالب ترتيبات ما بين الحربين العالميتين(نظام فرساي).

ثانيا على المستوى الاقتصادي: سمحت العولمة ببروز عالم بدون حدود، حيث برز اتجاه قوي في العلاقات الدولية يتجاوز الدولة، ويطرح مفهوم الدولة الأمة للنقاش(نظام وستفاليا).

ثالثا على المستوى الإيديولوجي: نهاية الشيوعية خلقت عالم بدون عدو واضح، والعمل جار لخلق عدو جديد يلعب نفس الدور في السابق، التناقض شرق- غرب (نظام يالطا).

بعد نهاية الحرب الباردة وتفوق الولايات المتحدة، وجدت نفسها في عالم بدون حدود ولا معالم ولا عدو، ما جعل الإدارات المتعاقبة من بوش الأب وكلينتون إلى بوش الإبن، تبحث عن دور للولايات المتحدة في عالم ما بعد الحرب الباردة، وهو ما أدركه المفكرون الأمريكيون، عملا بنظرية التحدي والاستجابة للمؤرخ **أرنولد توينبي**، التي تقول أن المدنيات التي تواجهها التحديات هي فقط التي تزدهر وفي غياب التحديات تراوح مكانها ثم تضمر، وكذلك نظرية الكتلة المزدوجة **لكانيتي** ومضمونها استمرار الدولة لا يكون إلا بوجود دولة ثانية ترتبط بها، سواء تواجهتا أو تبادلتا التهديد جديا، فوجود الدولة الثانية أو حتى التخيل الكثيف لها كفيل بضمان تماسك الأولى[2]، ومن نتاج هذه الأطر نجد نظرية صدام الحضارات لصامويل هنديغتون.

في خضم هذه التجاذبات احتدم النقاش الفكري – حول ضرورة إيجاد أو صنع العدو لضمان بقاء واستمرارية الولايات المتحدة- وتمحور هذا النقاش حول ثلاث اتجاهات[3]:

الاتجاه الأول: يجمع أنصاره على أن جوهر الصراع القادم سيكون اقتصاديا، ومن ثم يجب على الولايات المتحدة مواجهة الأقطاب الاقتصادية الأخرى(اليابان والصين والاتحاد الأوربي).

الاتجاه الثاني: يرى بأن طبيعة الصراع في القرن القادم سيكون حضاريا، نتيجة سعي الولايات المتحدة لنشر منظومتها الفكرية والقيمية والتي سوف تتصادم مع حواجز الحضارات الأخرى، وفي مقدمتها الحضارة العربية الإسلامية. وتندرج أطروحة صدام الحضارات ضمن هذا الاتجاه.

الاتجاه الثالث: يتمسك أنصاره باستمرار أهمية العامل العسكري في التوازنات الدولية، وعليه فكل الدول ذات القدرات العسكرية والخارجة عن نطاق المظلة الأمنية الأمريكية تشكل تهديدا حقيقيا

للمصالح الأمريكية، لذلك يجب العمل على منع ظهور أو تطور أي مصدر تهديد، عملا بمقولة " إذا لم تصنع مستقبلك فإن الآخرين سوف يصنعون لك هذا المستقبل"[4].

وتجدر الإشارة في هذا الصدد إلى فكرة القوة الناعمة التي أطلقها الأكاديمي الأمريكي **جوزيف ناي** مع بداية تسعينيات القرن الماضي، ويعرفها بأنها " القوة الناعمة في جوهرها هي قدرة أمة معينة على التأثير في أمم أخرى، وتوجيه خياراتها العامة وذلك استنادا إلى جاذبية نظامها الاجتماعي والثقافي ومنظومة قيمها ومؤسساتها بدل الاعتماد على الإكراه أو التهديد". ويمكن نشر هذه الجاذبية بطرق شتى أهمها: الثقافة الشعبية،الدبلوماسية الخاصة والعامة، المنظمات الدولية، الشركات والمؤسسات العاملة ويحصر ناي القوة الناعمة لأي دولة كبرى في ثلاث عناصر هي: مدى جاذبية الثقافة العامة، مدى جدية الالتزام بالقيم السياسية داخليا وخارجيا، درجة مشروعية والقبول الطوعي للسياسة الخارجية من طرف بقية الدول والشعوب[5].

بعبارة أخرى تعبر القوة الناعمة عن القدرة على الاحتواء الخفي والجذب اللين، وتعبر عن جاذبية النموذج وقدرته على الإغراء، ما يغني عن استعمال العنف والإكراه في توجيه سلوك الآخرين لذلك يقول ناي " حينما أجعلك تريد فعل ما أريد منك فعله، فليس ثمة موجب لاستخدام القوة أصلا".

ويعتقد ناي بأن القوة الصلبة والناعمة يعملان بشكل متقابل، فكلما زادت مساحة استعمال أحداهما قلت بالمقابل مساحة الأخرى، ولكنه يهمل حقيقة جوهرية مفادها حتى القوة الناعمة لا تخلو من وجوه الإكراه الخفي، فتوجيه سلوك الآخرين والتحكم في وعيهم يعد شكلا من أشكال الإكراه المبطن. وحسب ناي دائما فإن القوة الناعمة بدأ تأثيرها بعد الحرب العالمية الثانية والدور المركزي الذي لعبته القوة الأمريكية في تحقيق النصر، من خلال مشروع مارشال والترويج للصورة النمطية الأمريكية الحضارية من خلال الدعاية والإعلام.

للإشارة فقد سبق ناي لهذه الفكرة المفكر الألماني **جون جالتونغ** الذي يعتقد بأن السيطرة الدولية لا تنفصل عن آليات الترويض الثقافي والسياسي، التي تستعملها القوى الدولية ضد من هم أضعف منها ويتم ذلك من خلال إيجاد نخب سياسية وثقافية في الدول التابعة ذات تناغم مع مصالح المراكز الدولية ما يغني عن الحضور العسكري المباشر، وفي هذا الصدد يقول **جالتونغ** "يتم زرع هذه النخب القائدة في مركز الهامش الوطني، ومن ثم يصبح الهامش الوطني مرتبطا عضويا بالمركز ضمن إطار وفاقي للمصالح بين الطرفين"[6]. إنه الاستعمار الجديد الذي حل محل الاستعمار القديم المباشر، ولكن بتكلفة أقل وتحصيل فوائد أعظم، ما يغني القوى الكبرى عن الحضور العسكري المباشر، والاكتفاء بالمراقبة فقط.

لا ينبغي أن نهمل مساهمة إبن خلدون القيمة في هذا المجال قبل ذلك بوقت طويل، حينما تكلم عن العمران وقدم قاعدة اجتماعية هامة تمثلت في العبارة التالية "المغلوب مولع بتقليد الغالب في نمط الحياة والمأكل والملبس وحتى نمط التفكير" لأن القوي غالبا ما يولد شعورا بالوجل والخوف ممزوجا

بالإعجاب والانجذاب لدى المغلوب إلى الحد الذي يشل قدرته على التفكير المتبصر، لذلك يتصور أن تفوق الغالب يعود إلى ما يتمتع به من كمال في كل شيء[7].

وللأمانة فإن القاعدة الاجتماعية لإبن خلدون عامة وصالحة في معظم الأحيان لتفسير العلاقة بين الغالب والمغلوب، إلا أنها تخضع لاستثناءات محدودة فقط، حيث يقدم التاريخ لنا حالات تمكن المغلوب فيها من استيعاب الغالب وترويضه، ونذكر في هذا الصدد القبائل الجرمانية التي اجتاحت القارة الأوربية بالقوة في القرن الرابع للميلاد، ولكن جرى استيعابها وتمسيحها من الطرف المغلوب. وكذلك الغزو المغولي على مركز الخلافة ببغداد بالقوة عام 1258، ولكن جرى استيعابهم وتأثروا بالإسلام ودخلوا فيه ،بل وأصبحوا من المدافعين عنه. ولا خلاف على أن هذه الحالات مجرد استثناء فقط لا تنقص من قيمة القاعة الاجتماعية الخلدونية عموميتها.

لقد كان كل طرف من الإتجاهات الثلاث للصراع القادم- اقتصادي أو حضاري أو عسكري- يدفع باتجاه تبني أطروحاته في صياغة السياسة الأمريكية. وعلى ضوء ما سبق سنحاول التطرق للإستراتيجية الأمنية الأمريكية في الفترة (1990-2012) من خلال جزئين الأول معنون بمرحلة التفرد يتم من خلال فرعين، يتناول الأول الفترة الرئاسية لجورج بوش الأب، ويتطرق الثاني للفترتين الرئاسيتين لبيل كلينتون، أما الجزأ الثاني المعنون بمرحلة الهيمنة فيخصص فيه الفرع الأول لفترتي حكم الرئيس بوش الإبن، ويخصص الفرع الثاني لفترة حكم الرئيس باراك حسين أوباما.

أولا: مرحلة التفرد 1990-2001

الفرع الأول: الإستراتيجية الأمنية خلال فترة بوش الأب 1989-1993.

بعد انتهاء الحرب الباردة وتراجع دور العامل الإيديولوجي لصالح العامل الاقتصادي والعسكري- وهو تماما ما يتماشى مع رؤية الجمهوريين- وإثر التحولات الدولية التي طرأت على الواقع الدولي بالانتقال إلى وضع الأحادية القطبية، فما هي طبيعة ومعالم الإستراتيجية الأمنية الأمريكية خلال فترة رئاسة بوش الأب؟ وما هي أهم القضايا التي واجهت الإدارة الأمريكية في هذه الفترة؟ سنحاول في هذه النقطة التعريج على أهم المحطات المفصلية في صياغة الإستراتيجية الأمريكية خلال فترة حكم بوش الأب.

لقد تميز الرئيس **جورج إتش دبليو بوش** بخبرته الكبيرة في الشؤون الدولية، حيث شغل عدة مناصب أهمها: رئيس السفارة الأمريكية غير الرسمية في الصين، وسفير الولايات المتحدة لدى الأمم المتحدة، ومدير وكالة الاستخبارات المركزية (CIA)، لذلك كان يحمل تصورا لما يريد القيام به.

من جهة أخرى حرب الثماني سنوات التي دارت رحاها بين العراق وإيران(1980-1988)، والتي قال عنها مستشار الأمن القومي الأمريكي السابق هنري كيسنجر نريد منهزمين في هذه الحرب. والتي كانت محاولة لتدمير قوتين إقليميتين ناشئتين ببعضهما، للقضاء على أي تهديد محتمل لمصالح الولايات المتحدة في المنطقة، مبررا ذلك بقوله "لم يكن للولايات المتحدة أي مصلحة سوى منع سيطرة

أي من المتحاربَين على المنطقة"[8]. وقد خرج العراق بزيادة تسلحه من هذه الحرب، وتجدر الإشارة للدور البارز للدبلوماسية الجزائرية في التوسط لحل النزاع بين الجارين العراق وإيران. وعلى إثر نزاع حدودي بينه وبين الكويت، قام الرئيس السابق صدام حسين في أوت 1990 بغزو الكويت، معتقدا بأن الولايات المتحدة لن تحرك ساكنا كونها منشغلة بأوربا الشرقية وانهيار الاتحاد السوفياتي، وكذلك بعدما تلقى تطمينا من السفيرة الأمريكية لديه آنذاك **أبريل غلاسبي**، التي صرحت له قبل أيام من الغزو، إن الأمريكيين لا رأي لهم بهذا النزاع الحدودي بين الكويت والعراق.

والحقيقة أن الراحل صدام قد أكل الطعم وصدق الكذبة الأمريكية، بعدما قام باحتلال الكويت ما يشكل تهديدا مباشرا للمصالح الأمريكية بالمنطقة، فقامت رئيسة الوزراء البريطانية السيدة **مارغريت تاتشر** بدفع الرئيس **بوش** الأب للقيام بردع العراق، ولأول مرة منذ 1950 يحصل إجماع في مجلس الأمن الدولي يسمح بالتدخل العسكري، وهو ما عبر عنه القرار 678 لمجلس الأمن، لكون الاتحاد السوفياتي في وضع حرج، إضافة لعدم علمه بنية الرئيس العراقي ومطامعه في الكويت إلا عن طريق الأمريكيين أما بالنسبة للصين فقد ذكّرها بوش بموقفه المتسامح معها تجاه مجزرة ميدان **تيانانمين** حيث قمعت القوات الصينية بعنف مظاهرات شبابية مطالبة بالديمقراطية[9]، إلا أن إدارة بوش لم تشأ المخاطرة بالتعاون الاستراتيجي الأمريكي الصيني الذي أطلقته إدارة نيكسون وتعمق مع إدارة كارتر.

وهكذا ضمنت الأمم المتحدة القيادة ووفرت 500 ألف رجل، وشارك في العمليات العسكرية إلى جانب الولايات المتحدة كل من بريطانيا وفرنسا، وساهمت في تمويل الحرب كل من ألمانيا واليابان والكويت والسعودية [10]، بعدما أوحى الرئيس بوش للسعودية بأن القوات العراقية ستدخل أراضي المملكة بعد إحكام السيطرة على الكويت.

وقد أُطلق على هذه العملية إسم **عاصفة الصحراء**، والتي تعتبر أهم محطة في فترة حكم الجمهوريين تحت رئاسة بوش الأب، وتمثلت أهداف الحرب الواضحة في منع سيطرة أيا كان على بترول المنطقة، لأن ذلك يمس مباشرة المصالح الأمريكية الحيوية، ما يسمح بتعزيز التواجد الأمريكي في هذه المنطقة الحيوية، وقد بدأت هذه الحرب بحملة جوية قوية على القوات العراقية في جانفي 1991، تلاها هجوم بري في فيفري من نفس السنة، أسفر عن تراجع الجيش العراقي وتحرير الكويت. وقد شكلت أيضا عملية عاصفة الصحراء لدى الكثيرين الفرصة الثمينة لاستعادة العلاقات المدنية العسكرية الأمريكية التي تضررت كثيرا بسبب حرب الفيتنام، وهو ما عبر عنه الجنرال **كولن باول** وزير الدفاع الأمريكي السابق بقوله " الطريقة التي تجاوب بها الأمريكيون بشكل عام مع الأزمة تمكنت من طرد الأرواح الشريرة لفيتنام... وبفضل عاصفة الصحراء وقع الشعب الأمريكي ثانية في حب قواته المسلحة"[11].

إلا أن **بريجنسكي** يرى بالمقابل أن نجاح عاصفة الصحراء لم يُستغل إستراتيجيا بل أعطى انطباعا سلبيا عن الولايات المتحدة التي أصبح ينظر لها كوريث للإمبريالية البريطانية، ويعتقد

بريجنسكي أن الحسم لم يكن نهائيا مع الرئيس العراقي، فكان ينبغي مواصلة العمليات لغاية الإطاحة بصدام،[12] لكن **بريجنسكي** يعود ويؤكد على أن الرئيس **بوش** الأب كان حريصا على نقطتين تتعلق الأولى بعدم إخراج العملية عن إطارها الحقيقي وهو تحرير الكويت من الغزو العراقي، لأن إجتياح العراق سيؤدي لتفكك التحالف الدولي، أما الثانية تتمثل في منع إسرائيل من الرد على الصواريخ العراقية، لأن ذلك من شأنه أن يؤدي لانسحاب الدول العربية المشاركة في التحالف.

عموما يمكن أن نرصد العديد من الأحداث البارزة إبان فترة حكم الرئيس بوش الأب لعل أبرزها انسحاب قوات الاتحاد السوفياتي من أفغانستان في فيفري 1989 وانتصار المقاومة الأفغانية المدعومة من الولايات المتحدة، سقوط جدار برلين في نوفمبر 1989 وتوحيد ألمانيا في أكتوبر 1990، وأخيرا حل الحزب الشيوعي في أوت 1991 وانهيار الاتحاد السوفياتي، ما جعل الرئيس بوش الأب يتكلم عن النظام العالمي الجديد الذي تكون فيه الولايات المتحدة القوة العظمى الوحيدة بدون منافس بعد انتهاء الحرب الباردة.

إن اجتياح العراق للكويت وضع القوة الأمريكية على المحك، ما دفعها للرد بحرب الخليج الأولى وبخصوص الصراع العربي الإسرائيلي، كان يمكن لجورج بوش الأب أن يمضي قدما باتجاه فرض حل على الطرفين، ولكنه لم يشأ اللجوء لممارسة العديد من الضغوط، خاصة مع نهاية عهدته، وربما أجَّل ذلك للعهدة الثانية التي لم تتحقق. وما يمكن ملاحظته خلال الفترة الرئاسية **لبوش** الأب أن جل اهتمامه تركز على قضايا السياسة الخارجية على حساب القضايا الداخلية[13]. وهو السبب المحتمل لتدني شعبيته وخسارته للانتخابات، ما جعله يترك إرثا معقدا لمن يخلفه.

وقد سعى المرشح الديمقراطي **بيل كلينتون** لمهاجمة الرئيس **بوش** الأب –أثناء مناظرة تلفزيونية في خضم الصراع نحو البيت الأبيض– لإهماله الشؤون الداخلية للأمريكيين لصالح الشؤون الخارجية وقد بدا **بوش** غير مهتم بالمواضيع الداخلية، ما صب في مصلحة المرشح **كلينتون**. الذي أصبح رئيسا للولايات المتحدة في ما بعد، فما هي ملامح الإستراتيجية الأمنية الأمريكية خلال فترتي حكمه؟ وما هي أهم المحطات التاريخية له؟

الفرع الثاني: الإستراتيجية الأمنية خلال حكم بيل كلينتون 1993–2001.

خلافا للرئيس **جورج بوش** الأب الذي كان متيقنا من أن القوة العسكرية هي الأساس في صياغة الاستراتيجيات الأمنية، لقد تغيرت آراء الإدارة الأمريكية بقدوم الرئيس **كلينتون**، والذي أكد على أن امتلاك القوة العسكرية وحدها ليس كافيا للمضي قدما في قضية الانفتاح العالمي، لذلك أصبحت القوة الموسعة السمة المميزة للسياسات الأمنية الأمريكية خلال التسعينيات، إلا أن ذلك لم يسهم في تجنب الحروب أو التقليل منها، فقد أكدت لجنة مختصة في صياغة الأمن القومي في تقريرها عام 1999، على أن الولايات المتحدة ومنذ نهاية الحرب الباردة اشتركت في أكثر من أربعين (40)تدخلا عسكريا مقابل ستة عشر(16) تدخلا فقط خلال فترة الحرب الباردة بأكملها[14].

مما تقدم يمكن أن نأخذ فكرة أولية عن فترة حكم الرئيس **بيل كلينتون**، من خلال تقسيمها لفترتين حيث ركز في العهدة الأولى على القضايا الداخلية مع عدم التركيز على السياسة الخارجية التي اعتبرها امتدادا للسياسة الداخلية، ولكن بالنظر لبعض التجاذبات بين مختلف المؤسسات السياسية الأمريكية وتبادل الأدوار، والتطورات العالمية، عادت القضايا الخارجية للبروز في العهدة الثانية.

كما أسلفنا الذكر فإن الرئيس **بيل كلينتون** بدأ حملته الانتخابية بالتركيز على المسائل الداخلية مثل البطالة والفقر والرعاية الصحية والضرائب، ما ساهم في منحه العديد من أصوات الناخبين، ولكن الشعور بلذة التفوق الأمريكي ونشوة الانتصار في الحرب الباردة خيمت في النهاية على كل الوعود الانتخابية، فضلا عن التركة التي خلّفها الرئيس بوش الأب، الذي تدخل عسكريا في الصومال أواخر عهدته عام 1992، معتقدا أن المهمة سهلة وأن القوات الأمريكية ستنهيها وتنسحب قبل تولي الرئيس القادم ولايته، ولكن بحلول كانون الثاني كان لا يزال يوجد في الصومال 25 ألف جندي أمريكي[15].

ولعل الحرب في الصومال وفي العاصمة مقديشو تحديدا –والتي سميت إستعادة الأمل– لم تكن سهلة أبدا على الجيش الأمريكي، فقد زادت حدة المقاومة من طرف ميليشيات التحالف الوطني الصومالي بإمرة محمد فرح عيديد، وهو الضابط العسكري الصومالي السابق، الذي استغل ارتباك الجيش الأمريكي واستهدافه للمدنيين الصوماليين بنيران الرشاشات الأوتوماتيكية، ما ساهم في زيادة حدة المعارك والخسائر من الجانبين. وفي 22أوت 1992 بعثت إدارة كلينتون نخبة من القوات الخاصة، دون استشارة الكونغرس لحسم المعركة. ولكن كل هذه المحاولات باءت بالفشل، حين تمكن **عيديد** وقواته من إسقاط ثلاث طائرات هيليكوبتر من نوع **بلاك هوك**، وإصابة ثلاثة أخرى بأضرار، وبعد محاصرة الموقع من طرف الصوماليين الغاضبين والمسلحين، كانت النتيجة كارثية على الجيش الأمريكي، فقد قُتل 18 أمريكيا وجُرح 78، وأُسر طيار أمريكي، وكل هذا جرى نقله عبر شبكات التلفزيون العالمية، بالإضافة لصورة بقايا مشوهة لجندي أمريكي ميت يُجر عبر شوارع مقديشو[16].

كل ما سبق شكل صدمة في الشارع الأمريكي، معيدا النظر في الجدوى من التدخل في الصومال أصلا، كما عبر أعضاء بالكونغرس عن غضبهم الشديد وطالبوا بتقديم إيضاحات حول الموضوع، أما البيت الأبيض فقد وقع عليه العبء الأكبر، حين تحولت الحرب الصغيرة التي بدأها بوش الأب واستمرت خلال حكم الرئيس كلينتون إلى أزمة سياسية من الدرجة الأولى، ما دفع بالرئيس كلينتون لتبرير موقفه والتعليق بان الحرب في الصومال هي حرب تديرها الأمم المتحدة وأمريكا ليست إلا مجرد طرف فيها وهو ما يجانب الحقيقة. وفي الأخير قرر الرئيس الأمريكي سحب القوات الخاصة من الصومال، وأعلن عن نيته في إنهاء الوجود العسكري الأمريكي في الصومال.

لقد شكلت الصومال عقدة تضاف إلى عقدة الفيتنام، خاصة أن الأمريكيين يحبون الانتصارات السهلة والفوائد العظيمة ولكن بدون خسائر أو بأقل قدر منها، وهو ما تم في الحربين العالميتين.

سيساهم كل من درس الفيتنام والصومال في تعليم المسؤولين الأمريكيين إتباع استراتيجيات وتكتيكات تجعل الخسائر البشرية خاصة في حدها الأدنى.

لقد اتسمت فترة **بيل كلينتون** بغياب جدول أعمال واضح ودقيق لقضايا السياسة الخارجية ونادرا ما كانت الاجتماعات تبدأ وتنتهي في موعدها المحدد، وتتسم مشاركة بعض المسؤولين بالعفوية وبعضهم كان من المعنيين بالشؤون الداخلية، ومع ذلك يحضرون مداولات مجلس الأمن القومي، ولم يكن الرئيس الصوت المسيطر بل مجرد مشارك في النقاش، وقد عبر رئيس هيئة الأركان عن ذلك بقوله "لو كنت قادما من المريخ، ولا تميز بين زيد وعمرو وانضممت للنقاش لما أمكن لك أن تعرف من هو الرئيس"[17]. إلا أن الأمور استقرت بعد ذلك، وحتى في العهدة الثانية لكلينتون لم يكن الرئيس أو مستشار الأمن القومي أو وزير الخارجية يتولى القيادة، عكس ما حصل في فترة بوش الأب.

ثانيا: مرحلة الهيمنة 2001-2012.

ونتعرض في الجزء الثاني من الورقة لفرعين يتناول الأول الإستراتيجية الأمنية الأمريكية خلال فترتي حكم الرئيس **جورج دبليو بوش**، في حين نخصص الثاني للحديث عن الإستراتيجية الأمنية الأمريكية خلال الفترة الأولى لحكم الرئيس **باراك أوباما**.

الفرع **الأول: الإستراتيجية الأمنية خلال حكم جورج دبليو بوش 2001-2008.**

لقد ظل الرئيس بوش الإبن طوال حملته الإنتخابية منتقدا لمستوى تسلح وتنظيم الجيش الأمريكي ومحاولة إصلاحه من طرف الرئيس بيل كلينتون، حيث صرح بأن الجيش الأمريكي لا زال منظما لمواجهة تهديدات الحرب الباردة أكثر من تنظيمه لمواجهة تحديات القرن الجديد. ويضيف بوش الإبن " لقد أُهدرت السنوات السبع الماضية في العطالة والكلام الفارغ"[18]، ووعد في حالة انتخابه بمراجعة الجيش من الأسفل إلى الأعلى، وبناء جيش القرن القادم. وبعد وصوله للبيت الأبيض، برزت عدة تساؤلات مثل ما هي ملامح الإستراتيجية الأمنية الأمريكية؟ وفيم تمثلت أبرز التغيرات فيها؟ وما مدى انعكاس ذلك على التواجد العسكري الأمريكي في العالم والمصالح الأمريكية؟ إن محاولة الإجابة عن هاته الأسئلة سيشكل محور هذه الجزئية من بحثنا.

من أهم مميزات الإستراتيجية الأمريكية خلال فترة بوش الإبن ظهور ما يسمى الحرب الاستباقية والتي تعود جذورها إلى 2500 سنة، حيث شرّع كل من **أرسطو والملك فيليب** هذه الحرب عندما قام اليونان بغزو الفرس، لجعل الشرق ينصاع للنظام الغربي العقلاني، كما مضى **الإسكندر** في تنفيذ مخطط ما يسمى اليوم الشرق الأوسط[19]، بإنشاء تسع مدن باسم الإسكندرية غير إسكندرية مصر وجعل في كل منها مكتبة ضخمة، مفتتحا بذلك العصر الهيليني، ابتداءً بالإسكندرية المصرية إلى جنوب شرق آسيا.

لقد برزت في نفس الفترة الإستراتيجية الأمريكية المرتكزة على الصدمة والرعب والتي عملت على إلغاء أو تضييق الحدود الفاصلة بين الدفاع والهجوم، بحيث لا يمكن التمييز في سلوك القوة

المهيمنة بين دفاعها فيما إذا ما كان هجوماً، وهجومها فيما إذا ما كان دفاعاً، ما يسبب إشكالية على المستوى السياسي في التعاطي مع هذا السلوك دولياً، وعلى المستوى النظري الذي يتطلب البحث والتطبيق وعلى المستوى العلمي في تحديد المستوى المطلوب من الردع أيضاً، واختيار الأدوات والأساليب المناسبة لتحقيقه، والتي تصب دائما في معادلة التوازن بين الانتشار العالمي وتكلفته، لذلك يمكن القول أن العقيدة العسكرية تلبست بثوب الايدولوجيا، ولذلك أضحت بمنزلة إيديولوجيا موازية للإيديولوجية السياسية لنظام الحكم في عهد الرئيس جورج دبليو بوش، وتمتاز بالرسوخ والثبات في المستويات العليا، وتدخل ضمن اختصاصات القيادة السياسية[20]، وهذه العقيدة التي أقيمت في زمن الحرب الباردة على الردع المقابل، تجاوزتها أمريكا لتنتقل بعد انكفاء الاتحاد السوفيتي السابق إلى إستراتيجية الردع الأحادي الجانب، وهي أقرب إلى الإرهاب.

تخضع السياسة الدفاعية الأمريكية في الفترة الحالية لتحولات جذرية تحت تأثير نوعين من العوامل الهيكلية، الأول يتمثل في الفكر العسكري الذي جلبته إدارة الرئيس بوش معها إلى السلطة والذي يهدف إلى تنفيذ خطة إصلاح جذرية شاملة في المؤسسة العسكرية الأمريكية. أما العامل الثاني فيتمثل في الدلالات الخطيرة التي عكستها هجمات واشنطن ونيويورك في 11 سبتمبر 2001، والتي أكدت على وجود طائفة جديدة من التهديدات بالغة الخطورة التي يتعرض لها الأمن القومي الأمريكي ومصالحه العابرة للحدود.

ومن أهم الأهداف الرئيسية للأمن القومي الأمريكي، والتي نصت عليه الوثيقة الإستراتيجية الأمنية الدولية للولايات المتحدة الأمريكية 2002 . هو تحقيق الرفاهية الاقتصادية، و ذلك من خلال تأمين الاستقرار في الأقاليم الرئيسية في العالم، التي تقيم الولايات المتحدة الأمريكية علاقات تجارية معها، أو تستورد منها السلع الحرجة، مثل النفط والغاز الطبيعي. وتتطلب الرفاهية أيضا الحفاظ على قيادة الولايات المتحدة الأمريكية في مجال التنمية الدولية والمؤسسات المالية والتجارية.

إن الولايات المتحدة تسعى لوضع إستراتيجية جديدة تتمثل في تغيير الوضع القائم واستبداله بنظام دولي جديد، تتمكن فيه من تحقيق مصالحها والممثلة في الأهداف التالية[21]:

1- تدفق النفط في شرايين الاقتصاد الغربي العالمي بدون ضغط أو مساومة من أي طرف.

2- أن تنعم الدول الغربية بالأمن بحيث تبقى وتيرة النمو في الاقتصاد الغربي مرتفعة والوظائف مأمونة للعاملين في مختلف المؤسسات الإنتاجية والخدمية في الدول الغربية.

3- فرض النظام الغربي على بقية الأمم لأن فيه تحقيق السلام والأمن على الكرة الأرضية. وفي ذلك تمكين للغرب بقيادة الولايات المتحدة من بسط نفوذه على باقي شعوب العالم.

4- التحول من الصراع الأيديولوجي إلى أيديولوجية السوق، العولمة وتقوية نفوذ الشركات المتعددة الجنسيات، وتمكينها من السيطرة عن طريق سلطة المال والتكنولوجيا والمعلومات، وبذلك يضعف

دور الدولة الوطنية وتصير تابعة للدول القوية، وهذا معناه فرض قيود على حرية الإرادة الوطنية في صناعة قراراتها السياسية بنوعيتها الداخلية والخارجية.

5- القيام بحرب استباقية وتحطيم القادة أو الجماعات التي تحاول تهديد نفوذ الولايات المتحدة وحلفائها في أي مكان وهي الدول التي تطلق عليها اسم محور الشر.

إذا كانت الولايات المتحدة هي التي تقود ركب العولمة، فالسؤال المطروح هنا من أين تنبع قوة الولايات المتحدة التي أصبحت تسيطر على العالم؟ والجواب على ذلك هو أن قوة الولايات المتحدة مستمدة من العناصر الثلاثة الآتية[22]:

أولا: القوة الاقتصادية ذات الأبعاد الدولية ، حيث يعتبر الدولار هو العملة العالمية، والمنتجات الزراعية والنفطية والصناعية تثمن بهذه العملة.كما أن الولايات المتحدة هي الدولة الوحيدة التي لا تحتاج إلى تغطية إصدار عملتها بالعملات الأخرى أو الذهب. فهي تطبع الدولار والعالم يلهث وراءه لشرائه وكما قال أحد الاقتصاديين "فإن التجارة العالمية لعبة، حيث تنتج الولايات المتحدة الدولارات بينما بقية العالم ينتج أشياء يستطيع الدولار شراءها".

ثانيًا: قوة التكنولوجيا التي جعلت من الولايات المتحدة قاطرة التقدم والنمو في العالم، والتي ساعدت المؤسسات المالية والبنوك على التوسع في الأسواق العالمية وأصبحت تتلاعب برؤوس أموال متنقلة عابرة للحدود والدول ، تقدر ب 1500 مليار دولار، يتم تبادلاها يوميًا في الأسواق، وكما قال رئيس الحكومة الفرنسية السابق " **ليونيل جوسبان** "فإن التحدي المطروح اليوم على المجتمعات هو جعل اقتصاد السوق في خدمة الإنسان وكبح ميله إلى الانفلات من الرقابة الجماعية.

ثالثًا: قوة العلم والمعرفة والأفكار الجديدة والاختراعات المختلفة التي تزخر بها المؤسسات العلمية في الولايات المتحدة الأمريكية، إنها بدون شك، تعتبر المركز العالمي لبروز الأفكار الخلاقة بسلبياتها وإيجابياتها، فهي مركز ظهور المخترعات الجديدة في جميع المجالات، وبهذا التفوق العلمي جذبت إليها العقول والأفكار من كل مكان.

أحداث 11 سبتمبر2001 وانعكاساتها الإستراتيجية:

إن أحداث الحادي عشر من سبتمبر شكلت منعرجا خطيرا في مسار الإستراتيجية الأمنية الأمريكية، فبعد الهجوم على برجي التجارة العالمية واستهداف مبنى البنتاغون بطائرات مدنية، ما شكل تطورا نوعيا في تهديد الأمن الوطني والمصالح الأمريكية في الداخل، ما جعل المسؤولين الأمريكيين يعيدون رسم استراتيجياتهم الأمنية العالمية، وعلى رأسهم الرئيس بوش الإبن وفريقه الرئاسي الجمهوري وما نتج لاحقا دفع الأكاديميين إلى الكلام عن مرحلة ما بعد 11 سبتمبر، والتي ستشهد تغير العالم كليا وإلى الأبد ، وللوقوف على أهم التغيرات في الإستراتيجية الأمنية الأمريكية بعد 11 سبتمبر، لا بد من الوقوف أولا عند الحدث في حد ذاته، وما شابه من غموض وتباين بين الرواية

الأمريكية الرسمية وبعض الروايات الإعلامية والأجنبية، فما هي حقيقة هذه الأحداث؟ وما هي انعكاساتها على الأجندة الأمنية الأمريكية في العالم؟

إن التحقيقات الأمريكية حول أحداث 11 سبتمبر توصلت لكون العمل إرهابيا، نفذه جماعة من الإرهابيين المدَربين، والمدعومين بشكل قوي من أعداء الديمقراطية الأمريكية، وقد تمت الإشارة إلى الإسلاميين المتطرفين في أفغانستان تحت قيادة أسامة بن لادن، الذي يعتبر صنيع المخابرات الأمريكية لمواجهة الإتحاد السوفياتي إبان الحرب الباردة، والذي انقلب على الولايات المتحدة في ما بعد كما أشرنا لذلك سابقا. وعليه جرى حشد غير مسبوق للتأييد الشعبي والدولي للرد على هذه الهجمات بكل أشكال القوة الأمريكية المتاحة، نظرا للأضرار الجسيمة المادية والمعنوية التي لحقت بكبرياء الولايات المتحدة. وهو ما عبر عنه الرئيس بوش الإبن منفعلا، حينما أكد أنه في حال ثبوت تورط دولة ما في هذه الهجمات سيتم مسحها عن خريطة العالم.

من جهة أخرى لا بد أن نتساءل، هل يمكن لثلة من الإرهابيين إختراق أكبر وأقوى جهاز مخابرات في العالم؟ وخطف طائرات مدنية تخضع لرقابة على مدار الساعة بترسانة من الأقمار الصناعية، ويفجرونها في برجي التجارة في نيويورك والبنتاغون. وقد طُرحت هاته الأسئلة من طرف كثير من الأكاديميين والإعلاميين، ومنهم الكاتب الفرنسي **تيري ميسان** الذي يؤكد في كتابه "**الخديعة الكبرى**"–الممنوع من التداول في الولايات المتحدة– بأن بعض المسؤولين الأمريكيين كانوا على علم بالهجمات وبعض الحقائق تدعو للدهشة وأهمها[23]:

- بروس هوفمان الذي ألقى كلمة في مجلس النواب جاء فيها " إن الهجمات على ضخامتها كان من المستحيل تصورها"، لكنه قبل ستة أشهر أي في مارس 2001 وفي أكاديمية القوات الجوية الأمريكية قدم وصفا دقيقا لما اعتبره مستحيلا أي هجمات 11سبتمبر، بقوله " فكروا بانفجار 1992 الذي استهدف مركز التجارة العالمية، اليوم من الممكن إسقاط البرج الشمالي فوق الجنوبي... سيجدون أسلحة وخططا أخرى بما فيها الطائرات الخاضعة للتحكم عن بعد". هل هذه مصادفة؟
- الشهادة التي أدلى بها الملازم الأول **دلمارت إدوارد فريلاند** أمام المحكمة العليا في كندا حول مؤامرة في القوات المسلحة الأمريكية للقيام بهجمات 11 سبتمبر، وفي الثاني عشر من أوت 2001 سلم **فريلاند** ظرفا للسلطة الإصلاحية يتضمن شهادته على هجمات ستحدث قريبا، فكانت وصفا دقيقا لهجمات نيويورك، وحين سألت السلطات الكندية البنتاغون عن فحوى الرسالة، امتنع عن الرد وادعى أن **فريلاند** أُبعد من البحرية بسبب أدائه المتواضع.
- كشفت صحيفة هاريتس الإسرائيلية نقلا عن شركة **أويغو** للرسائل الالكترونية، أنها تلقت رسالة من مجهول تحذر من الهجمات ساعتين قبل حصولها، وقال **مالكوفر** مدير شركة أويغو أنه تم تحذير العاملين والموظفين في البرج الشمالي، ومن المحتمل أنهم لم يأخذوا الأمر على محمل الجد.

- حصل منفذو الهجوم على الدعم اللوجستي على الأرض، وذكر مكتب التحقيقات الفدرالية أن –عدد الانتحاريين– بلغ تسعة عشر شخصا من العرب المسلمين، ولكن السفارة السعودية في واشنطن أكدت وجود خمسة منهم في بلادهم بصحة جيدة.
- وجود 4 طيارين في الطائرة الأولى و5 في الثانية، بالمقابل ولا طيار في الطائرة الثالثة والرابعة، فمن كان يقودهما؟ إلا إذا كانت الطائرات مبرمجة وموجهة خارج إرادة الركاب والطاقم إن صح أن فيها ركاب.

بالإضافة لما سبق فإن هناك عدد من التساؤلات التي تؤكد فكرة برمجة الطائرات أو على الأقل تواطؤ داخلي مع منفذي الهجمات، فلماذا لم يظهر شريط الفيديو الذي يظهر ارتطام الطائرة بالبنتاغون إلا بعد مدة طويلة؟ وجاء مبهما بعد مصادرة كل أشرطة الفيديو لكاميرات المراقبة من المباني المجاورة للبنتاغون، لماذا تم استبعاد شهادة بعض رجال الإطفاء حول وجود بقايا متفجرات في أساسات مبنى التجارة العالمي؟

إن أحداث الحادي عشر من سبتمبر سمحت للولايات المتحدة بأن تعيد ترتيب خارطة العالم بما يتلاءم مع فلسفتها السياسية، وهذا ما صرح به وزير الدفاع الأمريكي السابق (رامس فيلد) بعد يومين من هذه الأحداث لوكالات الأنباء العالمية حيث قال "إن الدماء الأمريكية التي زهقت في الأحداث ستحقق أهدافاً عظيمة للولايات المتحدة على مدى قرن كامل". وفي هذا الصدد علق وزير البيئة البريطاني **مايكل ووتشر** في جريدة **الغارديان** بقوله " لقد كان مكتب التحقيقات الفدرالي على اطلاع بالمخطط، وكان بإمكانه إحباطه، ولكنه سكت عنه ليكون مبررا لأمريكا لتفعل ما فعلته"[24].

لا شك أن هجمات11 سبتمبر – بغض النظر عن كونها من تنفيذ الإرهابيين أو عملا مدبرا من الداخل– كان لها الأثر البالغ على الإستراتيجية الأمريكية، فهل كانت هذه الأحداث سببا في تغيير الإستراتيجية؟ أم مبررا لانتهاج إستراتيجية معدة سلفا للهيمنة على العالم؟ وهو ما سنحاول الإجابة عنه في النقطة الموالية.

مع بداية الفترة الرئاسية لبوش الإبن بدأت الصحافة الأمريكية بمهاجمته واصفة بأنه غبي ومحدود الثقافة، ومدمن كحول، والسبب في إفلاس الشركة التي كان يرأسها، ولكن بعد الحادي عشر سبتمبر أصبح البطل القومي حامل الراية الأمريكية، وذكرت الصحافة المحلية معاوني الرئيس ينقسمون إلى فئتين: الأولى من كبار الأثرياء الذين يستطيعون دعم الحملة الانتخابية ومشاريع الرئيس، أما الفئة الثانية فهي من الخبراء والمتخصصين الذين يحسنون تبسيط الأمور[25].

يمكن حصر أهم ما يميز إدارة **بوش** الإبن في بروز التيار اليميني المتطرف بشقيه؛ السياسي المعروف إصطلاحا باليمين المحافظ الجديد، والديني المعروف إصطلاحا باليمين المسيحي الجديد. وتوفر الأجواء لتبني أفكارهم مثل الحرب الإستباقية. وللإشارة فإن النزعة المحافظة برزت إبان الحرب الباردة وتعزز حضورها أثناء الحملة الإنتخابية **لريغان**، وينطلق هذا التيار الديني السياسي من

مبدأ تقسيم العالم إلى معسكر الخير الذي يضم المسيحيين في مقابل معسكر الشر الذي يضم أنصار الديانات الأخرى[26].

خلال التسعينيات لم يرض المحافظون الجدد على سياسات الولايات المتحدة لأنها تتصرف حسبهم بعد الحرب الباردة على نحو لا يليق بالمنتصرين، لذلك سنة 1998 وقع عدد منهم على وثيقة " **مشروع القرن الأمريكي الجديد**" وهم رونالد رامسفيلد، ديك تشيني، بول وولفويتز وألماي خليل زادة الذي يهدف لفرض الهيمنة الأمريكية على العالم بعد سقوط الاتحاد السوفياتي، وتنص هذه الوثيقة على ما يلي[27]:

- تعزيز العلاقات مع الدول الديمقراطية، وتحدي نظم الحكم المعادية للمصالح والقيم الأمريكية.
- زيادة ميزانية الدفاع لتحديث القوات الأمريكية، وتحمل مسؤولياتها العالمية.
- الحفاظ على عالم تواق للأمن والرخاء، حافظ للمصلحة الأمريكية، وصديق للمبادئ الحضارية.

إن قدوم الرئيس بوش الإبن وهجمات الحادي عشر من سبتمبر، مهدت الطريق لظهور وتبني طروحات المحافظين، وقد تجلى ذلك في إعلان الحرب على الإرهاب، رغم أن الولايات المتحدة لم تقدم تعريفا واضحا له، وكانت البداية مع أفغانستان التي تأوي حركة طالبان بقيادة أسامة بن لادن بعد الحشد الدولي بقيادة الولايات المتحدة، حيث صرح الرئيس بوش الإبن" من ليس معنا فهو ضدنا" وصرح أيضا" ستستغرق الحملة الصليبية، وهذه الحرب على الإرهاب بعض الوقت "[28] ، ما جعل العديد من الدول تصطف إلى جانب الولايات المتحدة.

ومن ثم يأتي الدور على العراق بحجة تهديده للأمن العالمي بامتلاكه لأسلحة الدمار الشامل وفق معلومات استخباراتية– ثبت خطؤها بعد سنوات– فقامت الولايات المتحدة وبريطانيا بغزو العراق بمعارضة روسيا وفرنسا. والحقيقة أن بوش الإبن جاء ليكمل ما بدأه بوش الأب ولم ينهه بالشكل الصحيح. وفي هذا السياق بلغ الغرور ونشوة الانتصار بأحد كبار مساعدي بوش إلى القول "نحن سنصنع التاريخ، وسيترك لكم جميعكم دراسة ما نقوم به"[29]. وكل ما سبق ساهم في تراجع التضامن العالمي مع الولايات المتحدة في حربها ضد الإرهاب الذي بلغ ذروته في أعقاب أحداث الحادي عشر من سبتمبر.

لقد قدم الرئيس الأمريكي وفريقه دعما مطلقا لإسرائيل على حساب الفلسطينيين، ما ساهم في تعقيد إمكانية التوصل لحل سلمي بين الطرفين، وقد عمل بوش وشارون على استبعاد ياسر عرفات لكونه عقبة في سبيل تحقيق الشرق الأوسط الكبير، ذات الخلفية الدينية.

بناءً على ما تقدم يمكن حصر أهم ما ميز فترتي حكم الرئيس بوش الإبن في[30]:

- هجمات الحادي عشر سبتمبر على مركز التجارة العالمي بنيويورك، والبنتاغون بواشنطن.
- إعلان الحرب على الإرهاب، بداية بحركة طالبان وأسامة بن لادن في أفغانستان.

- خلال عام 2002، أطلق بوش تسمية "**محور الشر**" على كل من كوريا الشمالية، إيران والعراق، إنسحاب الولايات المتحدة من التوقيع على معاهدة المحكمة الجنائية الدولية، موافقة الكونغرس والأمم المتحدة على استعمال القوة ضد العراق وكوريا الشمالية.
- خلال 2003 غزو العراق رغم معارضة فرنسا وألمانيا وروسيا، وعدم العثور على أسلحة الدمار الشامل وإسرائيل تبني الجدار العازل.
- خلال 2004 فضيحة سجن أبو غريب، وتصاعد المقاومة العراقية.
- خلال 2005 كوريا الشمالية تعلن امتلاكها للسلاح النووي، وتسميتها رفقة إيران "طليعتي الطغيان".
- خلال 2006 الرئيس بوش يقبل العند في النادي النووي، تصاعد وتيرة العنف في العراق وفلسطين.

لقد اتضح أن تكاليف الحرب (قدر الكونغرس التكاليف المباشرة بثلاثمائة مليار دولار وغير المباشرة أضعاف ذلك المبلغ) تجاوزت بكثير ما حققته من انجازات. بل ألحقت هذه الحرب الكثير من الضرر تمثل في[31]:

- انهيار مصداقية الولايات المتحدة، خاصة بعد تأكيد الرئيس بوش على العثور فعليا على أسلحة الدمار الشامل بعد شهرين من غزو العراق، وتبين في ما بعد كذب بوش.
- تضرر الموقف الأخلاقي للولايات المتحدة بسبب فضيحة سجني أبو غريب وغوانتانامو.
- ارتفاع الخسائر البشرية حيث بلغ عدد القتلى الأمريكيين قرابة ثلاثة آلاف والمصابين بعجز حوالي عشرون ألف، مع عدم ذكر عدد الضحايا في صفوف العراقيين.
- تنامي المشاعر المعادية لأمريكا، بسب حربها والموجهة في الأصل للعالم العربي والإسلامي.

الفرع الثاني: الإستراتيجية الأمنية خلال فترة أوباما 2008-2012

أثناء الحملة الإنتخابية وعد أوباما بمراجعة الإستراتيجية الأمريكية بشكل شامل، وغلق معتقل غوانتانامو، وسحب القوات الأمريكية تدريجيا من العراق وأفغانستان، والتركيز على القضايا الداخلية. وبعد وصوله للبيت الأبيض، هل يمكن القول بأن الإسلاموفوبيا والحرب على الإرهاب والحرب الإستباقية لم تعد جزءً من الإستراتيجية الأمريكية للمرحلة القادمة، مقابل بروز قضايا داخلية مثل البطالة والضرائب والتامين الصحي، فهل هناك تغير حقيقي للإستراتيجية الأمريكية بقدوم الرئيس أوباما؟

لقد كشفت إدارة الرئيس الأميركي باراك أوباما الخميس 27 ماي 2010 عن إستراتيجية جديدة للأمن القومي تركز على محاربة ما سمته "الإرهاب الداخلي" في الولايات المتحدة، وتعتبر في الوقت نفسه أن ما يسمى "الإرهاب "ليس التهديد الوحيد الذي تتعرض له البلاد. وتَعتبر الإستراتيجية الجديدة أن الأمن القومي الأميركي يبدأ من الداخل[32]، وأن هناك مخاطر أخرى تهدد الأميركيين وباقي

الشعوب، مثل ظاهرة التغير المناخي، وما سمته الوثيقة "التقنيات المدمرة"، والتهديدات التي تشكلها شبكة الإنترنت وشبكات الجريمة الدولية، إضافة إلى الأوبئة.

وتتضمن الوثيقة –التي تقع في 52 صفحة– نبذا ضمنيا لمبدأ "الحرب الإستباقية" ضد ما يسمى "الإرهاب"، وهو المبدأ الذي كان يوجه السياسة الخارجية للرئيس الأميركي السابق جورج بوش. كما تخلت الإستراتيجية الجديدة عن مصطلح "الحرب على الإرهاب" الذي لازم الإدارة السابقة، وركزت على ما سمته الإرهاب الداخلي، ونصت الوثيقة على أن الولايات المتحدة "ليست في حالة حرب عالمية على الإرهاب أو على "الإسلام"، بل هي في حرب على شبكة محددة هي تنظيم القاعدة و"الإرهابيون" المرتبطون به.[33] ووثيقة إستراتيجية الأمن القومي الأميركي تكون مطلوبة قانونا من كل رئيس أميركي وتكتسي أهمية خاصة لتأثيرها في الموازنات والتشريعات التي يعتمدها الكونغرس.

وعلى المستوى الدولي أكدت الإستراتيجية الأمنية الجديدة ضرورة أن تنسق واشنطن مع حلفائها إن أرادت استخدام القوة العسكرية، وأكدت حاجة الولايات المتحدة إلى تقوية المؤسسات الدولية وبلورة عمل جماعي دولي. وإن أميركا ستعتمد وسائل متعددة لعزل إيران وكوريا الشمالية إذا لم تلتزما بالقرارات الدولية المتعلقة ببرنامجيهما النوويين، وتعهدت بتقليص الترسانة النووية الأميركية والحد من الاعتماد على الأسلحة النووية بشكل لا يمس بفعالية "قوة الردع". كما تدعو لوقف انتشار الأسلحة النووي وتأميم المواد النووية[34].

وتعطي الإستراتيجية الجديدة الأولوية للدبلوماسية وتركز على "القوة الناعمة" وعلى محاولة التواصل وتجعل الخيار العسكري آخر حل يتم اللجوء إليه، وتؤكد على توسيع الشراكة الدولية خارج إطار الدول الحليفة التقليدية لتشمل دولا وقوى أخرى مثل روسيا والصين والهند.

وقالت وزيرة الخارجية الأميركية **هيلاري كلينتون** خلال تقديمها الإستراتيجية الأمنية الجديدة في معهد بروكنغز إن الولايات المتحدة "في طور التحول من الاستخدام والتطبيق المباشر للقوة –في أغلب الأحيان– إلى مزيج من القوة والنفوذ غير المباشرين أكثر تطورا وصعوبة"[35]. وإضافة إلى المزج بين القوة العسكرية والدبلوماسية، تركز الوثيقة على التنمية والقوة الاقتصادية وإعادة تنظيم الأوضاع المالية للولايات المتحدة، وتجديد أساس القوة الأميركية عبر تعزيز رفاهية الأميركيين، وتحقيق نمو اقتصادي متوازن ومستدام.

وتعهدت الوثيقة الأميركية الجديدة بأن تصون الولايات المتحدة حقوق الإنسان وتعززها، كما رفضت اللجوء إلى التعذيب أداة لتحقيق أمن البلاد، داعية إلى تعزيز الشراكة مع المسلمين وتأكيد الالتزام الثابت بتحقيق سلام شامل، وهو ما نلمسه في الزيارة المبكرة التي قام بها الرئيس أوباما لمصر رغبة منه في بناء علاقات جديدة مع العالم العربي والإسلامي، تتجاوز مخلفات إدارة سابقه لهذا الملف.

بالنظر لبرنامج الرئيس أوباما وتحركاته التي يحاول من خلالها، رسم خط جديد للأمة الأمريكية بعدما أدى بها بوش الإبن وفريقه لحافة الهاوية، من إنهاك اقتصادي وتذمر دولي، وبذلك يكون أوباما قد حقق ما تكلم عنه بريجنسكي في مؤلفه الفرصة الثانية ولو جزئيا، حيث كان يعلق أمالا كبيرة على فترة ما بعد بوش الإبن، وفي هذا الصدد يصف بريجنسكي سياسة دولته في السنوات الأخيرة من القرن العشرين وبدايات القرن الحالي بأنها (غوغائية رعناء) وأتهم المؤسسة السياسية في الولايات المتحدة الأمريكية بإنتاج ما وصفه بأكبر كمية من البلاهة في العالم، وأبدى تخوفه من تحولها إلى كوكب النهاية[36].

لا شك أن الرئيس الديمقراطي باراك أوباما، خلال حكمه مال للقضايا الداخلية، خاصة الأزمة الاقتصادية الداخلية، المتمثلة في ارتفاع البطالة وعجز الميزانية، كما عمل الرئيس وفريقه على غلق معتقل غوانتانامو سيئ السمعة، والانسحاب من العراق وأفغانستان تدريجيا، وهي قضايا ساهمت بشكل كبير في توليه سدة البيت الأبيض ثانية.

تقرير المراجعة الدفاعية لـ 2010- 2014.

أصدرت وزارة الدفاع الأمريكية في مارس 2010 تقرير"المراجعة الدفاعية 2010-2014 " (Quadrennial Defense Review)والذي يتكون من 128 صفحة، وقد استغرق صياغته عاما كاملا، وشارك في إعداده 700 شخصية من وزارة الدفاع ومنظومات التسليح ومراكز الدراسات المعنية وخبراء عسكريين بهذا الشأن. وقد حدد التقرير إطار العمل الإستراتيجي لوزارة الدفاع ، وكيفية استخدام الموارد لتحقيق النصر في الحرب، ورسم الخطوط العريضة في التعامل مع التهديدات الآنية والوسيطة ،وتطوير القدرات العسكرية المختلفة للحروب القادمة، كما حدد التقرير قائمة الأهداف الإستراتيجية، وشكل المخاطر والتهديدات المحتملة في الفترة المحددة ، وكذلك إدامة زخم الإنفاق العسكري، وقد أعلنت الموازنة الدفاعية الأمريكية لعام 2011 والتي قدرت بـ 708.8 مليار دولار لهذه السنة وبزيادة مقدارها 44 مليار دولار عن العام الماضي ، و تضمنت ميزانية حربي العراق وأفغانستان التي تبلغ قرابة 320 مليار دولار لعامي2010 - 2011 [37]، مما يؤكد محاولة تخفيف الإنفاق عبر استخدام العمليات العسكرية الخاصة الأقل كلفة وذلك باستخدام الطائرات بدون طيار وخصخصة المعلومات، وتنفيذ العلميات الخاصة النوعية.

إن الملامح العامة للإستراتيجية الأمريكية في عهد الديمقراطيين برئاسة أوباما، تختلف إلى حد كبير عنها في عهد الجمهوريين برئاسة بوش الإبن، ويتجلى ذلك في إعادة رسم حدود الدور الأمريكي في العالم، وتراجع النزعة الفردية لصالح العمل الجماعي، ومراجعة ميزانيات التسلح الضخمة مع مراعاة متطلبات الأمن الوطني، التركيز على الإرهاب الداخلي وعدم استثارة عداء العالم العربي والإسلامي تشجيع التحول الديمقراطي مادام يتماشى والمصالح الأمريكية، العمل على كسب المزيد من الحلفاء، وهي نظرة واقعية لدرجة كبيرة، وهنا ربما تغيب مفاهيم الحرب الإستباقية

وإستراتيجية الصدمة والرعب ولو مؤقتا من القاموس السياسي الأمريكي، في انتظار الظهور التالي للمحافظين الجدد والصقور على المسرح العالمي.

الخاتمة:

لقد كانت إستراتيجية الولايات المتحدة منذ نهاية الحرب العالمية الثانية، تصاغ بشكل ظاهر بدافع احتواء الاتحاد السوفييتي، وجعلت متطلبات الحرب الباردة سياسة الولايات المتحدة الخارجية واضحة الهدف. ومع نهاية الحرب الباردة واختفاء الدولة العظمى المنافسة لها، صار من الممكن إعادة النظر في المبادئ الأولى لسياسة الولايات المتحدة الخارجية وإعادة تصوُّر الدور العالمي لأمريكا من البداية وكان في وسع الولايات المتحدة أن تعيد النظر في مختلف الأعباء الدولية التي كانت تتحملها أثناء الحرب الباردة مثل التزام أمريكا بالناتو، وعلى الوجود العسكري الأمريكي في شرقيّ آسيا. وكان تدخل الولايات المتحدة في العالم الثالث مؤاده التنافس الجيوسياسي مع الاتحاد السوفييتي. لكن هذا لم يحدث.

ففي حين بدَّل انهيار الاتحاد السوفييتي النظام الدولي تبديلاً كبيراً، لكن لم يطرأ تبدل مواز على إستراتيجية الولايات المتحدة الكبرى، فلا تزال الولايات المتحدة تتبع في مجال الطموحات والمصالح والتحالفات الإستراتيجية الكبرى ذاتها التي كانت تتبعها منذ 1945 أي إستراتيجية الهيمنة. لذا كان الاتحاد السوفييتي عاملاً مركزياّ أقل شأناً في تشكيل سياسة الولايات المتحدة مما يُفترض عموماً.

والحقيقة أن صانعي السياسة الأمريكية سَعَوا بعد الحرب العالمية الثانية إلى خلق نظام عالمي تتزعمه الولايات المتحدة يعتمد على قوة عسكرية واقتصادية وسياسية أمريكية متفوقة، وعلى قيم أمريكية وقد كان ذلك جوهر سياسة الهيمنة ولا يزال.

في نهاية الكلام عن الإستراتيجية الأمنية الأمريكية بعد الحرب الباردة 1990-2012، يمكن تسجيل بعض الملاحظات التي وقف عليها الباحث تتمثل في:

- تبادل الأدوار بين الرؤساء الديمقراطيين والجمهوريين، وما يشكله ذلك من تراجع القضايا الداخلية لصالح الخارجية أو العكس، مع بقاء المصلحة القومية حجر الزاوية في العملية السياسية برمتها بالإضافة لدعم إسرائيل.
- تباين دور الرئيس في صياغة هذه الإستراتيجية، حيث يميل بعضهم للتدخل الشخصي في الشؤون الخارجية، فيرفعون من قيمة مستشاريهم للأمن القومي، ومثال ذلك الرئيس نيكسون ومستشاره كيسينجر. في حين يميل بعض الرؤساء للتركيز على القضايا الداخلية، وتفويض وزير الخارجية حرية التصرف في الشؤون الخارجية، مثل الرئيس فورد ووزير خارجيته كيسينجر.

– لعبت البيئة الدولة دورا بارزا في صياغة الاستراتيجيات الأمنية الأمريكية، خاصة الأحداث المفصلية مثل نهاية الحرب العالمية الثانية، ونهاية الحرب الباردة، وأحداث الحادي عشر من سبتمبر.

الهوامش:

[1] مصطفى بخوش، التحول في مفهوم الأمن وانعكاساته على الترتيبات الأمنية في المتوسط، الملتقى الدولي : الجزائر والأمن في المتوسط واقع وآفاق، جامعة منتوري قسنطينة يومي 29–30 أفريل 2008 ،ص 01.

[2]– المرجع السابق، ص2.

[3]– سوسن العساف، إستراتيجية الردع – العقيدة العسكرية الأمريكية الجديدة والاستقرار الدولي، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، لبنان: بيروت، 2008، ط 1، ص 162.

[4]–حسين بوقارة، تداعيات أحداث 11 أيلول بين التفسيرات السطحية والحسابات الإستراتيجية: الأهداف الظاهرة والخفية للحرب الأمريكية على الإرهاب، البيان، الإمارات، 4. 1. 2002.

[5]– رفيق عبد السلام، الولايات المتحدة الأمريكية بين القوة الصلبة والقوة الناعمة، مؤسسة الانتشار العربي، لبنان: بيروت ، 2011، ط 1، ص9.

[6]– رفيق عبد السلام، المرجع السابق، ص .13

[7]– المرجع السابق، ص 16.

[8]– هنري كيسينجر، هل تحتاج أمريكا إلى سياسة خارجية؟، تر عمر الأيوبي، دار الكتاب العربي، لبنان: بيروت، ، 2002، ط1، ص 190.

[9]– يوسف احمد السباتين، الإستراتيجية الأمريكية للهيمنة على الأمة الإسلامية، عالم الكتب الحديث، الأردن: إربد، 2004، ص 36.

[10]– ماكسيم لوفابفر، السياسة الخارجية الأمريكية، تر حسين حيدر عويدات للنشر والطباعة ، لبنان: بيروت ،2006، ص 72.

[11]– أندرو باسيفيتش، الإمبراطورية الأمريكية حقائق وعواقب الدبلوماسية الأمريكية، الدار العربية للعلوم، لبنان:بيروت، 2004،ط1،ص 221.

-12 زبيغنيو بريجنسكي، الفرصة الثانية ثلاثة رؤساء وأزمة القوة العظمى الأمريكية،تر عمر الأيوبي دار الكتاب العربي ،لبنان: بيروت، ، 2007، ص ص 80 81.

[13]- المرجع السابق، ص 84.

[14]-أندرو باسيفيتش، مرجع سابق،ص189.

[15]-المرجع السابق، ص 189.

[16]-المرجع السابق، ص 192.

[17]- زبيغنيو بريجنسكي، مرجع سابق، ص 94.

[18]-أندرو باسيفيتش، مرجع سابق، ص 186.

[19]- محمد علي حوات، العرب وأمريكا من الشرق أوسطية إلى الشرق الأوسط الكبير، مكتبة مدبولي مصر: القاهرة، ، 2006 ط1، ص 26.

[20]- علي كاظم المعموري، مكانة عقيدة العنف ورعب الصدمة في العقل الأمريكي، من الموقع الالكتروني:
http://www.dijlh.net/showthread.php/913719

[21]- رأفت غنيمي الشيخ، أمريكا والعالم في التاريخ الحديث والمعاصر، عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية، مصر: القاهرة، ط 1، 2006، ص 221.

[22]- المرجع السابق، ص 226.

[23]- يوسف أحمد السباتين، مرجع سابق، ص 39–45.

[24]- المرجع السابق، ص 45.

[25]- ويليام بلوم، الحروب الأمريكية القادمة أعمدة الحكمة الأمريكية في البيت الأبيض الصراع بين الجنرالات وتجار الرقيق الجدد، دراسات استراتيجية، العدد 4، مركز البصيرة للبحوث، ا: دار الخلدونية للنشر والتوزيع، الجزائر 2007، ص 38.

[26]-أحمد باي، السياسة الأمريكية بعد أحداث 11 سبتمبر 2001 وقضية التحول الديمقراطي في العالم العربي،دراسات استراتيجية، العدد 11، مركز البصيرة للبحوث،: دار الخلدونية للنشر والتوزيع الجزائر ، 2010، ص 50.

[27]- المرجع السابق، ص 51.

[28]-زبيغنيو بريجنسكي، مرجع سابق، ص 142.

[29]- المرجع السابق، ص 143.

[30]- المرجع السابق، ص ص 149– 152.

[31]- زبيغنيو بريجنسكي، مرجع سابق، ص153.

[32]- http://www.airssforum.com/f7/t93564.html

[33]- Ibid

[34]- Ibid

[35]- http://www.ildalil.com/blog/?p=343

[36]-علي كاظم المعموري، مرجع سابق.

[37]- مهند العزاوي، الإستراتيجية العسكرية الأمريكية، من الموقع الإلكتروني:
http://www.alzaytouna.net/arabic/?c=201&a=115950